المحاضرة 02

إطار نظري للحضارة

01/ نظرية الحضارة عند إبن خلدون:

عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (732-808 هجري / 1332-1406 ميلادي)، يرى ابن خلدون أن الإنسان كائن اجتماعي بالضرورة، وقد خلقه الله بغاية إعمار الأرض، فالعمران هو غاية خلق الإنسان، ويقسم ابن خلدون المجتمعات الى حضر وبدو، فأهل الحضر هم من استقروا في المدن والقرى وامتهنوا الزراعة والحرف، فهذه الصنائع تتطلب الاستقرار في الأماكن المنبسطة التي تتوفر على المياه، وبالتالي فهم حضروا الأمصار، أما أهل البدو فهم السائحة ممن يمتهنون تربية الإبل والغنم والأبقار فتعودوا الترحال ولم يستقروا في مكان واحد.

وتلعب العصبية حسب ابن خلدون دورا مهما في قيام الحضارة أو العمران، حيث تسيطر عصبية خاصة على مجموعة من العصبيات العامة وتسيطر على الحكم الرئاسة، ثم تتوسع على العصبيات المجاورة عند زيادة قوتها، غير أن الصراع الدائم بين العصبيات قد يؤدي الى سيطرة عصبية أخرى على الرئاسة، فالرئاسة تنتقل من عصبية لأخرى نتيجة الصراع الدائم على الملك، الذي يعتبر صراع المجد والشرف، وهذا القيام والسقوط للعصبيات يشكل دورة العمران أو الدورة الحضارية.

وتمر عملية بناء وسقوط الحضارة حسب ابن خلدون بثلاث مراحل أساسية، وهي شبيهة بحياة الانسان حيث يقدرها ب 120 سنة، وهي (مولد، قوة، هرم)، وهذه الأطوار بالنسبة للحضارة هي:

1- طور التأسيس.
2- طور العظمة.
3- طور الهرم والاندثار.

واذا كانت العصبية هي أساس قيام العمران فهي في الطور الأخير تنهار وتضعف، وذلك نتيجة حياة الترف التي يعيشها المحيطين بالرئاسة والملك، والتي تكون نتيجة استعظام الملك، فتزيد نفقات الدولة وتضطر الى زيادة الجباية والنفقات على أصحاب

الصنائع والحرف فترهقها، ويتسع مجال الاستبداد بالحكم وينتشر اللا عدل فتنهار الحضارة وتحل محلها حضارة أخرى. ويفرق ابن خلدون بين الدورة الحضارية التي تحدث داخل العصبية العامة، بحيث تتنقل من عصبية الى أخرى داخل نفس العصبية العامة، وبالتالي هي دورة العمران أو دورة العصبية، فتشكل بذلك الدورة الحضارية الصغرى، أما اذا انتقل الحكم الى خارج العصبية العامة فنحن هنا أمام دورة اجتماعية أو تاريخية ويسميها الدورة الحضارية الكبرى مثل (دولة الروم –الفرس / عند الغرب أو الدولة الأموية – العباسية عند المسلمين).

02/ نظرية الحضارة عند أرنولد توينبي: (1889 – 1975 لندن).

ينطلق من أن الدين هو السمة الأساسية لأي حضارة، فهو يسمي الحضارات باسم الدين الذي نشأت فيه، فيرى بان المجتمعات التي عايشت حضارات حقيقية هي: الأرثوذوكسية المسيحية، البيزنطية، الأرثوذوكسية الروسية، الاسلامية، الهندوسية، الصينية، الكورية اليابانية، الغربية)، ويفسر نشوء وسقوط الحضارات من خلال نظرية أسماها " التحدي والاستجابة " والتي استنبطها من علم النفس السلوكي، فالمجتمعات تواجه مجموعة من التحديات الطبيعية وغير الطبيعية، وطريقة استجابتها هي التي تحدد ما اذا كانت مجتمعات حضارية أ غير حضارية، فالبيئة تتحدى الناس فاذا استجابوا ايجابيا قامت حضارتهم وإن لم يستجيبوا لم تقم حضارتهم، وبالتالي فهناك طورين في الحضارة:

- طور نمو الحضارة: وتكون فيها الاستجابة للتحديات موفقة، ويتمكن المجتمع من التغلب على هذه التحديات، ويلعب في ذلك الدافع الحيوي دورا مهما في تحويل الطاقة الكامنة للفرد والمجتمع الى ديناميكية حضارية (مقياس النمو والتطور هو التقدم في سبيل التحقيق الذاتي)، كما يعود الفضل في نجاح التحدي الى دور الأفراد المبدعين وكذا القادة الملهمين في هذا المجتمع، ويسمي العلاقة التي تربط الأفراد بالمبدعين والملهمين استجابة ايجابية، وهي المحاكاة الآلية، وهي عملية الانقياد الاجتماعي.
- طور الفشل: حيث تكون التحديات أقوى من إرادة المجتمع وكفاءة أفراده، حتى وان ظهرت ردود فعل ضعيفة أمام هذه التحديات فهي استجابات غير كافية ولا ترقى لقيام الحضارة، وقد تكون في كثير من الحالات الحروب سببا مهما في انهيار الحضارات، ويرى بأن هناك ثلاث أسباب أساسية لسقوط الحضارات:

- ضعف القوة الخلاقة (المبدعين والملهمين) فتصبح السلطة تعسفية.
- عزوف الأغلبية عن الخضوع والطوعية للأقلية التعسفية.
- الانقسام المجتمعي وضعف الوحدة المجتمعية.

03/ نظرية الحضارة عند مالك بن نبي: (1905 – 1973 قسنطينة)

يرى بأن الدورة الحضارية تخضع لنفس قوانين الطبيعة، فيقول "اذا نظرنا الى الأشياء من الوجهة الكونية فاننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ثم متحولة الى أفق شعب آخر". فالحضارة حسبه تسلسل من الدورات فهي تشكل تجدد التاريخ بانتقالها من مجتمع لآخر، فلكل حضارة حظها وعمرها تؤدي فيه وظيفتها ورسالتها في العالم، فكل شعب أو أمة يسجل في فترة زمنية ما مفاخر عظيمة تبقى راسخة في التاريخ البشري، وتسجل أيضا في فترات أخرى اخفاقات وانتكاسات حضارية مدوية فتهوى في التخلف والانحطاط، ويشبه الدورة الحضارية بالدورة الدموية في الانسان، حيث تحمل عند خروجها من القلب تجاه الأعضاء والخلايا الطاقة والحيوية والحياة، والعكس عند العودة من الأعضاء الى القلب فهي تحمل الرواسب.

غير أنه يختلف عن ابن خلدون في ان الحضارة يجب أن تسقط لأنه يحكمها قانون بيولوجي، بل يرى بأنه يحكمها قانون اجتماعي، فكل مجتمع يملك ارادة تغيير أوضاعه، فالمجتمعات قادرة على العودة للدورة الحضارية متى توفرت شروط وامكانية التغيير الاجتماعي، فقانون التغيير الاجتماعي يمكن توجيهه من خلال الركائز الأساسية التي تؤسس لإعادة بناء الحضارة وهي:

- تحول الايمان من الايمان الفردي الى الايمان الجماعي (الاجتماعي)كقوة محركة ومتحركة (دور الدين).
- تحول الانسان من انسان الحق الى انسان الواجب والانتاج.
- الإرادة الحضارية المرهونة بدور وفعالية الانسان في الانجاز والتقدم الحضاري.

ويعتبر الإنسان رأس مال الحضارة لأنه عنصر الفعالية في تحريك العناصر المكونة للحضارة (انسان-تراب-وقت) فاذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ، فالحضارة ما تصنعه الشعوب بارادتها في أوطانها وليس ما تصنعه الصدف ومكائد

الاستعمار، اما التراب فيمد الانسان بقوته حتى يصل الى هدفه، وللوقت أهمية بالغة للوصول الى الأهداف:

1- **الإنسان**: يتحدد بوجوده النفساني العاقل والاجتماعي والروحي (امتلاك الفاعلية والإرادة والإبداع والتفكير والإيمان) ---- الروح –الدين.
2- **التراب**: يمثل مادة أولية في الطبيعة توظف في بناء الحضارة (استغلالها من طرف الإنسان).
3- **الوقت**: المدة الزمنية التي تجري فيها الأحداث الإنسانية ويتحرك فيها المجتمع داخل التاريخ.

ويرى مالك بن نبي أن حدوث أي مشكلة في أي عنصر من هذه العناصر الثلاث يعيق تقدم الحضارة ويسبب مشكلة حضارية.

04/ نظرية الحضارة عند صامويل هنتنغتون: (1927 – 2008 أمريكي).

انطلق هنتنغتون في بناء نظريته من فكرة التأصيل الثقافي في المجتمعات غير الغربية، وذلك في واقع يتميز بعالمية الحضارة الغربية والأصولية الإسلامية ومحاولة تأكيد الصينية، والفكرة الجوهرية التي تقوم عليها هذه النظرية هي الهوية الثقافية أو الهوية الحضارية، والتي يعتبر الدين المكون الأساسي لها ويرى بأن الصدام بين الحضارتين الغربية والشرقية أمر حتمي في ظل مقاومة الدول الشرقية والإسلامية لرياح التغيير والنظام العالمي الجديد.

وتعتبر الحضارة العربية الإسلامية العدو الأول للحضارة الغربية ، فقيمها خطيرة يجب مواجهتها بالصدام وليس بالحوار (وهي الفكرة الأساسية التي يشترك فيها هنتنغتون مع طموحات وأفكار المحافظين الجدد داخل الإدارة الأمريكية)، فإثارة مسألة الصراع أصبحت وسيلة مهمة جدا لتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية القائمة على البراغماتية، وهذا ما أكده الألماني هابرماس حين قال بأن مقولة صدام الحضارات تخفي بوضوح مصالح الغرب المادية (السيطرة على النفط).

وتشكل أطروحة صراع الحضارات نماذج من التماسك والتفكك والصراع في وقت واحد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وذلك للاعتبارات التالية:

- الصدام ناتج عن واقع يسوده الغضب والخوف والدهشة والشكوك والتعاطف في كل أصقاع الأرض.
- مفهوم الحضارة الكونية الشاملة غير موجود لأنه هناك فرق بين التغريب والتحديث.
- ظهور نظام عالمي جديد قائم على الخطوط والتمايزات الحضارية (تعاون وتفضيل على أساس حضاري).
- استمرار قوة الحضارة الغربية مرتبط بضرورة التأكيد على الهوية الثقافية بطابعها الديني (المسيحية).